المحاضرة الأولى

أولاً :- مفهوم الدبلوماسية

تعدُّ الدبلوماسية ظاهرة قديمة في تأريخ المجتمعات البشرية ولذلك فهي تُعدُّ انعكاساً موضوعيًّا لحركة الجماعات البشرية في تفاعلها معها والحاجة المترتبة إزاء كل ذلك لتنظيم العلاقات فيما بينها ، وعلى الرغم من الاختلافات التي أصابت هذه المفردة عبر تاريخ تطورها ، فإن الدبلوماسية بقيت علمًا وفنًا ، ومن الآليات التي يمكن الارتكاز عليها في إدارة العلاقات الدولية

يعود أصل كلمة الدبلوماسية الى " دبلوما " ومعناها " يطوي " باليونانية ، في حين كان الرومان في بداية الأمر يطلقون على وثيقة السفر المعدنية المختومة والمطوية بأسم " دبلوما " ومن ثم أخذت كلمة دبلوما تتسع وتتطور في معناها لتشمل فيما بعد الوثائق الرسمية والاتفاقيات والمعاهدات.

تحمل كلمة الدبلوماسية عدة معان منها :

- **من الممكن استخدامها كمرادف للمفاوضة .**
- **من الممكن استخدامها كمرادف للسياسة الخارجية بما تعنيه من تنفيذ واعداد لها .**
- **أو تستخدم بمعنى الجهاز الذي يدير الشؤون الخارجية للدول .**
- **يمكن أن تدل على طبع أو موهبه أو لباقة أو مهاره وكياسه وحذاقه في تسيير المفاوضات والمحادثات الدولية .**
- **يمكن ان تعني عند البعض نظرة ايجابية عندما نقول : ان الدبلوماسية معناها اللياقة والبراعة ، خاصة عندما تستخدم كصفة لشخص معين واعتباره بأنه يتحلى بدبلوماسية عالية . أو انها تعني عند البعض نظرة سلبية خاصة عندما نقول بأن الدبلوماسية معناها الدهاء والمكر والخداع والرياء وحتى الغموض ، عندما نقول إن هذا الشخص هو دبلوماسي أي انه يستخدم وسائل غامضة مليئة بالحيل والخداع ليصل الى أهدافه ويحقق طموحاته .**

ثانيا : - مصطلح الدبلوماسية :-

الدبلوماسية مصطلح يوناني الأصل انتقل الى اللاتينية ومنها الى اللغات الاوروبية وأصل معناه الوثيقة المطوية نسبة الى الاسم اليوناني القديم Diploma وعندما انتقل الى اللغة اللاتينية استعمل بمعنيين :

- معنى الشهادة أو الوثيقة التي يتبادلها الملوك في علاقاتهم الدبلوماسية والتي تمنح حاملها امتيازا معينا ، منه حسن الاستقبال والاحترام .
- يتعلق باستعمال الرومان لكلمة الدبلوماسية بما يفيد طباع المبعوث الدبلوماسي ومنه الأدب والمودة وتجنب أسباب النقد .

شاع استعمال مصطلح الدبلوماسية في بريطانيا وفرنسا ، واستخدمت كلمة مبعوث envoy بمعنى الشخص الذي يبعث بمهمة ، واستخدمت كلمة (سفير) في اللغة الاسبانية اشتقاقا من التعبير الكنسي Diplomacy بمعنى المخادع .

وبعد قيام منظمة الامم المتحدة عام ١٩٤٥ ، وضعت عدة مشاريع واتفاقيات دولية لتنظيم العلاقات الدبلوماسية بين الدول ، منها :

- اتفاقية فينا للعلاقات الدبلوماسية لعام ١٩٦١ .
- اتفاقية فينا للعلاقات القنصلية لعام ١٩٦٣.
- اتفاقية فينا للبعثات الخاصة لعام ١٩٦٩.

ومنذ القرن الخامس عشر ، أخذت كلمة الدبلوماسية معناها الحديث ، إذ إنها بدأت تشير الى العملية التي يتم من خلالها إدارة وتنظيم العلاقات الدولية ، وبدأت تؤثر في ميدان العلاقات الدولية ، فمن دبلوماسية مؤقتة ، أي غير دائمة وغير مستقلة ومتجولة ، الى دبلوماسية دائمة ، ومن دبلوماسية الملكية المطلقة الشخصية ، الى الدبلوماسية الملكية الدستورية ، ثم الى الدبلوماسية البرلمانية الديمقراطية ، وفي مراحل أخرى من الدبلوماسية السرية الى الدبلوماسية العلنية أو المكشوفة ، ومن الدبلوماسية الثنائية الى الدبلوماسية المتعددة الأطراف والمتنوعة الأشكال ، تمارس من الدول والمنظمات الدولية والإقليمية على السواء ، ومن دبلوماسية غير منتظمة وغير مقننة الى دبلوماسية منظمة ومقننة في إطار الاتفاقيات التي اصدرتها هيئة الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية.

تؤدي الدبلوماسية اليوم دوراً بالغ الأهمية في مسار تطور العلاقات الدولية ، إذ إنها أصبحت من الوسائل المهمة لحماية وتحقيق المصلحة الوطنية للدول ، فلم تعد الحروب وسيلة تستخدمها الدول لتحقيق مصالحها وأهدافها ، بل أصبح للدبلوماسية دور مهم قد يفوق جميع وسائل الإكراه الأخرى . ومن هذا المنطلق فقد اتجهت العديد من الدول الى بناء مؤسسات دبلوماسية تتميز بجانب كبير من التطور ، تسهم في حماية المصالح الوطنية الدولية.

إن تطور العلاقات الدولية وتطور وظائف الدولة ، فضلاً عن التطور الحاصل في وسائل الأتصال والأنتقال دفع الى تدويل كل أوجه الحياة تقريباً ، وجعل ميدان العمل الدبلوماسي يتسع الى مديات أكثر تطوراً ليشمل بذلك الجوانب الاقتصادية والتكنولوجية والفنية ، وبالتالي أصبحت الدبلوماسية المعاصرة أحدى الوسائل في إدارة وتوجيه العلاقات الدولية ، إذ إنها أصبحت لا تجرى في وسط سياسي وأيديولوجي متجانس الجانب ، بل إنها أصبحت تجرى في وسط متعدد ومتنوع الأنظمة السياسية والاقتصادية ، ومتعدد في مجال التنظيمات الدولية والإقليمية مما دفع بالعلاقات الدولية نحو المزيد من الأستقطاب.

أصبحت الدبلوماسية المعاصرة تتميز بطابعها المزدوج المتمثل في السعي والعمل على تنفيذ أهداف الدولة وتحقيق المصلحة الوطنية.

ثالثاً :- تعريف الدبلوماسية

تعددت وتنوعت تعاريف الدبلوماسية ، إذ إنها استعملت بمعانٍ مختلفة مما انعكس على صعوبة حصرها في تعريف محدد ؛ لذلك سوف نتناول نماذج مختصرة منها ولمدارس مختلفة

١- يشير تعريف قاموس أكسفورد الذي تبناه الكاتب والدبلوماسي البريطاني (هارولد نيكلسون) على أنها " علم إدارة ورعاية العلاقات الدولية عن طريق المفاوضات ، والأسلوب الذي يستخدمه السفراء والمبعوثون لإدارة وتسوية هذه العلاقات " .

٢- موسوعة علم السياسة ، تعرف الدبلوماسية على أنها " مجموعة القواعد والأعراف والمبادئ التي ترسخت بمرور الزمن بهدف تنظيم وإدارة العلاقات القائمة بين أطراف المحيط الدولي " .

٣- تعريف براديه فوديرييه Pradier Fodere " الدبلوماسية هي من يمثل الحكومة ومصالح البلاد لدى الحكومات وفي الدول الأجنبية ومن ثم فهي تثير فكرة إدارة الشؤون الدولية ومتابعة المفاوضات السياسية والعلاقات الخارجية ورعاية المصالح الوطنية للشعوب والحكومات في علاقاتها المتبادلة في حالتي السلم والحرب ، أي أنها وسيلة تطبيق القانون الدولي " .

٤- تعريف راؤول جينه Raoul Genet " الدبلوماسية بأنها فن تمثيل الحكومة ورعاية مصالح الدول لدى بلد أجنبي، ويتضمن هذا السهر على احترام حقوق الدولة ومصالحها وإدارة العلاقات الخارجية طبقاً للتعليمات المرسلة ، والقيام بالمفاوضات الدبلوماسية " .

٥- الدكتور سموحي فوق العادة ، عرف الدبلوماسية بأنها " مجموعة القواعد والأعراف الدولية والاجراءات والمراسم والشكليات التي تهتم بتنظيم العلاقات بين أشخاص القانون الدولي أي الدول والمنظمات والممثلين الدبلوماسيين مع بيان مدى حقوقهم وواجباتهم وشروط ممارستهم مهامهم الرسمية ، والأصول التي يترتب على أتباعها لتطبيق أحكام القانون الدولي ومبادئه ، والتوفيق بين مصالح الدول المتباينة وهي فن إجراء المفاوضات السياسية في المؤتمرات والاجتماعات الدولية وعقد الاتفاقيات والمعاهدات " .

٦- الدكتور كاظم هاشم نعمة ، يعرف الدبلوماسية على أنها " فن تقديم مصالح الدولة على مصالح الآخرين ، وهي لا تصنع السياسة الخارجية ، بل هي أداة تستخدم في تنفيذ السياسة الخارجية " .

٧- تعريف آرنست ساتو Satow الدبلوماسية هي " إستعمال الذكاء والكياسة في إدارة العلاقات الرسمية بين حكومات الدول المستقلة " .

٨- تعريف أنتو كوليز Anto Koletz الدبلوماسية هي " مجموعة المعرفة والفن اللازمين من أجل تسيير العلاقات الخارجية للدول بشكل صائب " .

٩- ومن الفقهاء من يعرف الدبلوماسية بأنها علم العلاقات والمصالح المتبادلة للدول أو فن التوثيق بين مصالح الشعوب أو علم وفن المفاوضات .

١٠- أما شارل دي مارتينس Charles De Martins عرفها بأنها " علم العلاقات والمصالح المتبادلة بين الدول ، أو هي فن التوفيق بين مصالح الشعوب ، وبعبارة أدق ، علم أو فن المفاوضة " .

١١- تعرف الدبلوماسية على أنها " الفن والعلم الذي تحاول به الدولة تحقيق أهدافها في السياسة الخارجية وتفادي الصراع المسلح " وبهذا التعريف يمكن القول " إن الدبلوماسية تنتهي حين تبدأ الحرب ، وتبدأ حيث تنتهي " وبهذا المعنى أيضاً فإن " الدبلوماسية والاستراتيجية هما جوانب مكملة لهذه السياسة وهي فن إدارة العلاقات مع دول أخرى لإنماء المصلحة الوطنية " .

لم تعد الدولة الشخص الوحيد الذي يمثل المجتمع الدولي ، بل أدت التغيرات والتطورات التي شهدها النظام الدولي الى ظهور أشخاص آخرين لهم من القدرة والفاعلية الشيء الكثير ، وبناءً على ذلك ، فإن مفهوم الدبلوماسية سواء من الناحية النظرية أو بالممارسة ، قد أصابه التطور والتغير تبعاً لذلك ، إذ لم تعد الدبلوماسية مقتصرة فقط على إدارة العلاقات فيما بين الدول ، وعليه يمكننا أن نحدد تعريفين للدبلوماسية تتماشى مع طبيعة تلك التطورات والتغيرات وهما :

التعريف الأول : الدبلوماسية هي " أداة تنظيم وتسيير الشؤون الخارجية للدولة بما يتماشى مع مصالحها الوطنية " والملاحظ على هذا التعريف أنه يتماشى مع المفهوم التقليدي للدبلوماسية والخاص بأرتباط الدبلوماسية بالدولة .

التعريف الثاني : يتماشى هذا التعريف مع المفهوم الحالي للواقع الدولي والحياة الدولية ، فهو يؤكد على أن الدبلوماسية هي " أداة وأسلوب تسيير وتنظيم العلاقات الدولية لأشخاص المجتمع الدولي لدى بعضهم البعض " .

حيث شهدت الفترة التي أعقبت نهاية الحرب الباردة ،الى نهاية تمركز الدولة ، وأصبح العالم يسير بخطى كبيرة وبمسارات سريعة للتحول نحو " القرية الكونية " وإيجاد فضاءات واسعة للتبادل وظهور التكنولوجيا الجديدة في مختلف مجالات الحياة ، بشكل يسمح بعولمة التواصل وتبادل الأفكار من خلال التفاعل مع الشعوب الأخرى بغية تحقيق الأهداف والمصلحة الوطنية.

رابعا : - الدبلوماسية والسياسة الخارجية

علاقة الدبلوماسية بالسياسة الخارجية ، علاقة وطيدة عل اعتبار أن الدبلوماسية هي العملية السياسية التي تتحقق بها علاقات الدولة ومصالحها ، فبقدر ما تكون الدبلوماسية أداة تنفيذ للسياسة الخارجية بقدر ما تكون أداة تحضير واعداد لها في ذات الوقت .

من الممكن تعريف السياسة الخارجية لدولة ما ، على انها النهج أو الخطة التي تتبناها الدولة في علاقاتها مع غيرها من أعضاء الجماعة الدولية .

وعلى حد تعبير (مارسيل مارل) هي جزء من نشاط دولي يتجه نحو الخارج ، بمعنى آخر هي النشاط الذي يتناول القضايا التي تطرح ما وراء الحدود، وذلك على عكس السياسة الداخلية .

وعلى هذا الأساس فأن الدولة تبحث بواسطة سياستها الخارجية على أن تتجاوب مع سلوك الأطراف الدولية الأخرى ، بمعنى التأثير في محيطها للحفاظ عليه كما هو عندما يكون في صالحها وتعمل على تعديله عندما يظهر لها أنه يعمل في غير صالحها .

حيث تشكل السياسة الخارجية جزءا أساسيا من السياسة العامة للدولة ، وتعتبر مرآة سياستها الداخلية وامتدادا لها ، وبهذا تصبح السياسة الداخلية والسياسة الخارجية كل منهما يكمل الآخر .

وهناك عدة وسائل يمكن من خلالها تنفيذ السياسة الخارجية ، منها الوسائل السلمية والوسائل العنيفة أو غير السلمية ، ومن أجل تحقيق مصالحه فأن الدول تلجأ الى هذه الوسائل ، حيث تشكل الدبلوماسية الوسيلة الأساسية سواء في السلم أم في الحرب .

خامسا : - الدبلوماسية والعلاقات الدولية

يمكن تعريف العلاقات الدولية على انها مجموعة من الاتصالات والتبادلات التي تتم بين أشخاص القانون الدولي وفي مختلف المجالات . أما الدبلوماسية تعرف بأنها عملية سياسية تقوم على تحقيق هذه العلاقات وتطويرها ، بالشكل الذي يخدم استراتيجية الدولة ، وهي بهذا المعنى توصف على انها علم يُدرَس وفن يُتقن وقانون يُلزم .....

تطورت العلاقات الدولية والتقاليد الدبلوماسية ، مما انعكس على تطور القواعد العرفية في نطاق القانون الداخلي وبرزت على مر الزمن في القواعد التي نعرفها اليوم باسم القانون الدولي .. وأصبح العرف الدبلوماسي جزءا ثابتا من التشريع الوضعي . يتطور مع تطور سيادة الدولة وممارستها على الصعيد الدولي . وأدى ذلك الى نشوء ما يعرف باسم التأريخ الدبلوماسي والقانون الدبلوماسي .

السؤال المطروح هنا ، هو هل أن الدبلوماسية تختلف عن القانون الدولي ، وماهي العلاقة بين الدبلوماسية والقانون الدولي والتاريخ الدبلوماسي ؟

للإجابة على هذا السؤال ، يمكن القول بأنه مهما تفرعت مواضيع العلاقات الدولية ومهما اتخذت من تسميات يبقى سقفها هو سقف القانون الدولي ، حيث يعتبر القانون الدولي هو الكل والمواد الأخرى هي الجزء أو الفروع .

وقد شكلت القواعد المكتوبة والقواعد العرفية والعادات الدبلوماسية جانبا مهما من القانون الدولي ،وأصبح هناك ما يعرف باسم القانون الدبلوماسي وهو ذلك الجزء من الدبلوماسية .

وبهذا المعنى فأن الدبلوماسية لا يمكن لها العمل وتحقيق أهدافها بمعزل عن القانون الدبلوماسي .

أما فيما يخص التأريخ الدبلوماسي فهو يهتم بوصف تطور العلاقات بين الدول ويرتكز على تسلسل المفاوضات وعرض الحوادث ، ويتناول الدبلوماسية في ماضيها ، وتتبع المراحل التاريخية التي مرت بها وبيان ما حققه الدبلوماسيون في كل من هذه المراحل في مجال العلاقات البشرية ومصائر الشعوب ، وعن طريق هذا التاريخ يمكن معرفة مجريات السياسة الدولية في الماضي واتجاهاتها ، ودوافع الحروب وكيف استطاعت الدول بعد تلك الحروب من تنظيم المجتمع عن طريق المفاوضات وعقد المعاهدات والاتفاقيات .